نشوء واثر الطبقة الوسطى في عملية البناء السياسي للمجتمع العراقي

الدكتور صبيح عبدالمنعم أحمد
قسم الاجتماع
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مفهوم الطبقة الاجتماعية :

لقد اختلف الباحثون والمشتغلون في ميادين العلوم الاجتماعية بدراستهم لظاهرة الطبقة الاجتماعية في المجتمع • ويرجع السبب الى طبيعة الدراسات النظرية والميدانية التي اجراها الكتاب بخصوص هذه الظاهرة ، والمدارس الفكرية التي ينتمون اليها • فلقد ذهب كل واحد منهم في تفسيرها بطريقة تكاد تختلف عن الاخرين او قد تلتقي هذه الدراسات في بعض الاحيان في بعض التفسيرات لها • ولاجل توضيح هذه الاختلافات بين الباحثين لمفهوم الطبقة نود ان نشير الى ابرزها وخاصة الاجتماعيون منهم ، لان الطبقة ظاهرة تعلق فيها المصلحون الاجتماعيون ، والسياسيون والاقتصاديون وغيرهم قديما وحديثا • فلها دور مهم ـ في معظم المجتمعات في عملية التحول والبناء للمجتمع من حيث مساهمتها في هذه العملية بصورة مباشرة او غير مباشرة • والمجتمع العراقي كغيره من المجتمعات الاخرى ضم قديما ويضم حديثا فئات وشرائح اجتماعية مختلفة لعبت ادوارا ، ومارست وظائف مختلفة عبر تاريخه الاجتماعي وحتى ثورة ١٧ـ٣٠ تموز سنة ١٩٦٨ التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي • وسوف لن تتطرق الى ما بعد هذه الفترة لان المجتمع

العراقي يمر بمرحلة تكاد تختلف عن بقية المراحل التاريخية السابقة من حيث ان لحزب البعث العربي الاشتراكي نظرية خاصة في البناء والتحول الاجتماعي وخاصة في معالجته للطبقات وقد بدأ الحزب يطبق نظريته منذ تسلمه السلطة والى الوقت الحاضر .

لقد درج قسم كبير من الكتاب في تقسيم المجتمع الى ثلاث طبقات رئيسية ،وهي الطبقة الغنية جدا ، والطبقة الفقيرة جدا ، والطبقة الوسطى التي تحتل مكانا بينهما .[1] اما البعض الاخر فحاول ان يقسم المجتمع الى طبقات فرعية اخرى بالاضافة الى هذه التقسيمات كالطبقة دون العليا وفوق الوسطى ودون الوسطى وفوق الدنيا وذلك كل حسب اجتهاده . وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر هذه بين جمهرة الكتاب في التقسيم الطبقي الا اننا نجد في البحوث التي اجراها علماء الاجتماع شبه اجماع بينهم على وجود ثلاث طبقات رئيسية في المجتمعات وخاصة المعاصرة منها والتي انصبت معظم بحوثهم عليها وهذه هي : الطبقة العليا ، والوسطى ، والدنيا ، ولو انهم اختلفوا في تحديد طبيعة هذه التقسيمات . ان هذا الاختلاف بينهم قد لا يشكل خطورة بقدر الخطورة المتعلقة باختلافهم حول مفهوم الطبقة نفسها ومحاولة تحديده لاجل ان لا يلتبس مع المفاهيم الاخرى التي قد تقترب منه . فهناك مصطلحات تداخلت معه كالمنزلة الاجتماعيه Social Status والمكانة الاجتماعية Social Rank والطائفة Caste ،والفصيلة Category والطبقية الاجتماعية Social Stratification الى غير

---

(1) (Aristeotle, Theories of class structure; A classical view), (1974) ed., Bendix, Reinhard & Lipset, Seymour Martin., in class status and power., Routledge & Kegan Paul., London., p. 1.

ذلك من المفاهيم الاخرى • ان الطبقة تشير الى الافراد الذين يربطهم اطار مجتمع أو مجتمع محلي ولديهم نفس القوة power والدخل والثروة والهيبة Prestige •[1] فالبحث في مضمون الطبقة يتعلق بصورة جوهرية بطبيعة الاختلافات الاجتماعية للجماعات • فقد تميزت المجتمعات في العصور القديمة باختلافات الافراد فيما بينهم في المنزلة والمكانة كما وارتبطت العضوية بالجماعة والمجتمع في الامتيازات التي يحصل عليها الافراد في ضوء القانون العام Public Law والخاص Private Law[2] • فالمجتمعات البشرية عبر تاريخها اعطت امتيازات معينة لفئات اجتماعية خاصة دون اخرى وذلك لطبيعة الادوار التي احتلتها هذه الطبقات والوظائف التي مارستها داخل المجتمع • لذا نستطيع القول ان لكل طبقة اجتماعية وفي كل مرحلة زمنية كان للطبقة دور ووظيفة تؤديها بصرف النظر عن الامتيازات التي تتمتع بها •

فالطبقة تعني بصورة عامة جماعة من الناس لها مميزات خاصه ومشتركه[3] تختلف عن بقية الفئات الاجتماعية الاخرى في المجتمع • وينطبق هذا المفهوم ايضا على الوضعيات المتدرجة في النظام الاجتماعي Social Order والتوزيعات المختلفة للمنزلة التي بدورها تعتمد على الوضعيات الاجتماعيه كما وينطوي مفهوم الطبقة الاجتماعية ايضا على النقلة الاجتماعية من الاعلى

---

(١) Gould, Julins & Kolb, William L., (1964) A dictionary of the Social Sciences, The Free-Press, N. Y., p. 643.

(٢) Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Alven (1959) Encyclopaedia of the social sciences, The Macmillan Company, N. Y., pj. 531-532.

(٣) Ibid., p. 532.

الى الاسفل او العكس[1] • وهذا بعكس الطائفة التي تمتاز بالجمود وصعوبة نقلة الافراد من وضع الى اخر او تغيير مكاناتهم الاجتماعية فيها • فالطبقة ظاهرة اجتماعية لها شخصية اجتماعية Social Entity مميزة يمكن ملاحظتها في المجتمع ، كما ولها تركيب اجتماعي عضوي Social Organism ومستوى معاشي معين ، وتمثيل فعلي داخل المجتمع • وقد يعاني افرادها نتيجة لوضعهم الطبقي وبنفس الوقت هم بحاجة الى فهم[2] من قبل الاخرين • وبعبارة اخرى ان الطبقة الاجتماعية ما هي الا جزءا مميزا من المجتمع بواسطة المكانه[3] والمنزلة والهيبة التي يمتلكها الافراد داخل المجتمع والامتيازات التي يحصلون عليها بالمقارنة مع بقية الفئات الاجتماعية الاخرى •

وغني عن البيان ان الكتاب النظريين بصورة خاصة قد اختلفوا في وجهات نظرهم حول مفهوم الطبقة الاجتماعية وذلك بسبب اختلاف بناءها عبر العصور التاريخية • فالتحولات التي مرت بها الطبقة تاريخيا كانت ذات طبائع خاصة ومختلفة[4] قد تتباين عن المرحلة التي بعدها او المرحلة التي قبلها • فكل باحث حاول التركيز على عامل معين واجتهد بطريقته الخاصة على بناء ايديولوجية او تفكير خاص للبرهنة عليه دون العامل الاخر ، او التاكيد عليه في فترة زمنية معينة دون الاخرى لذا فان معظم هذه البحوث جاءت قاصرة في بعض الاحيان في تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية فهي ــ تمتاز بالنظرة الشمولية والعمومية •

---

(١) Coser, Lewis A. & Rosenberg, Bernard, (1966) Sociological Theory; A book of readings; Second edition, The MacMillan Company, N. Y.

(٢) (Shmpter, J., The problem of classes) in Bendix, Reinhard & Lipst, Symour Martin, (1974), Op. Cit., p. 42.

(٣) Cuber, John F. (1951) Sociology, Second edition, The MacMillan Company, N. Y. p. 409.

(٤) Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Alven, (1959) Op. Cit. p. 532.

ان الباحث في موضوع الطبقة لايستطيع ان يهمل الكتابات التي جاء بها كارل ماركس Karl Marx بالنظر لاهميتها وقيمتها العلمية التي انتشرت في اوساط علمية واسعة ، وراجت في فترات زمنية مختلفة • اضافة الى ان اراءه في الطبقة اتخذها بعض الكتاب ـ ممن تاثروا بالمذهب الماركسي اساسا لتفسير التحولات التي تصيب المجتمع • ان كارل ماركس حاول ان يبني نظريته على التغير التاريخي للمجتمعات ، مستوحيا اراءه من هيجل Hegel وريكاردو Ricardo بالدرجة الاولى[١] • وهذه المراحل على حد رايه ذات طبيعة تطورية تبدأ بالحضارات القديمة Ancient Civilization ثم النظام الاقطاعي Feudalism ،ومن ثم النظام الراسمالي Capitalism ولقد تميزت كل مرحلة من هذه المراحل بسيادة نمط معين من الانتاج يعتمد على بناء طبقي يتضمن الطبقة الحاكمة ، والطبقة المضطهدة • والصراع الطبقي بين هاتين الطبقتين يعتمد على العلاقة بينهما من حيث سيطرة الطبقة الحاكمة على وسائل الانتاج ،ويرى ان القانون والحكومة ، والفن ، والادب ، والعلم ، والفلسفة، كلها في خدمة الطبقة الحاكمة •[٢]

ان ماركس يرى ان الطبقة اي حشد من الناس يقومون بوظيفة واحدة في العملية الانتاجية • فهناك جماعة مسيطرة وجماعة مسيطر عليها وتتميز كل طبقة عن غيرها باختلاف وضعها الاقتصادي وكلما كان الفرق شاسعا بين هاتين الطبقتين كلما اشتد الصراع الطبقي بينهما •

---

(١) Kahl, Joseph A., (1967) The American class structure, Holt, Reinhart and Winston, N. Y. p. 2.

(٢) (Bendex & Lipset, Karl Marx's theory of social classes), in Bendix, Reinhard & Lipset, Symour Martin (1974), Op. Cit., p. 6.

اما ماكس ڤيبر Max Weber فهو الاخر الذي خصص من حياته الى دراسة البحوث التاريخية في السنوات الاولى للقرن العشرين مركزا على العامل الايديولوجي ، والبناء الاجتماعي ، والعمليات الاجتماعية ، وحاول ان يعمل تمييزا حاسما بين الطبقة والمكانة والحزب[١] ، وسعى الى بناء نظرية لفهم ودراسة الطبقة الاجتماعية . فقد اعتبر ماكس ڤيبر Max Weber الطبقة الاجتماعية جماعة من الناس متشابهه في مصادر الدخل ، ويرى ايضا ان الاتجاه الاقتصادي Economic Interests له تأثير كبير على خلق اتجاه ايديولوجي مشترك بين الجماعة ، بالاضافة الى زيادة الشعور بالتماسك بين افرادها[٢] . فالطبقة من وجهة نظره هي ليست مجتمع محلي وانما تعتمد على فعل مشترك Communal Action وهذا الوضع الطبقي يستند على خصائص رئيسية وهي :

١ ـ مجموعة من السكان لهم خصائص متميزة ومشتركه تؤلف حياتهم .

٢ ـ ان هذه الخصائص والمميزات المشتركة في الاعم الاغلب تتمثل في طموحاتهم الاقتصادية .

٣ ـ كماوان هذه الخصائص التي يشتركون بها تعتمد على اوضاع حاجة سوق العمل[٣] .

فالطبقة عند ماكس ڤيبر Max Weber جماعه من الناس يشاركون في حياة متشابهه ينظر اليها من وجهة نظر السوق[٤] . اما التقسيم الطبقي فقد

---

(١) Joseph A. (1967), Op. Cit., p. 56.

(٢) Seligman, Edwen R. A & Johnson, Alven (1959), Op. Cit., p. 532.

(٣) (Weber, Max, Class, Status and party) in Bendix & Lipset, Op. Cit., p. 6.

(٤) Kahl, Joseph A., Op. Cit., p. 6.

يعتمد على ثلاثة خصائص مهمة ورئيسية وهي الثروة Wealth ، والهيبة Prestige ،والقوة Power .[1]

ومما لاشك فيه ان ماكس فيبر قد اكد على الجانب الاقتصادي كثيرا في دراسته للطبقة ، واعتبره مهما لانه يخلق اتجاهات فكرية بين الجماعة كما وله قوة داخل المجتمع وقدرة على خلق روح التماسك بين افراد الجماعة فالطبقة تعني اي جماعة من الاشخاص يشغلون نفس المكانة الطبقية Class status وان ما يميز الطبقة عن المكانة الطبقية هو الاختلاف او التشابه في الوضعية التي يحصل عليها الافراد من خلال الاتجاهات التي يشاركون فيهـــا .[2]

من هذاالعرض السريع لبعض الاراء الاجتماعية لمفهوم الطبقة الاجتماعية نجد ان هناك اختلافا واضحاً وفي بعض الاحيان كبيرا بين الباحثين .

وهناك بحوث كثيرة ومختلفة نظرية وتطبيقية ، ركزت اهتماماتها حول الطبقة ، وقد استخدم اصحابها متغيرات متنوعة لاجل فهم وقياس الطبقة الاجتماعية .فمن هذه البحوث من اعتمدت على الهيبة الشخصية Personal Prestige كمقياس للطبقة في المجتمع وخاصة المجتمعات المحلية او الصغيرة على اساس ان لها علاقة فيتوجيه سلوك الافراد . ويرى البعض الاخر من الباحثين ان الحرفة Occupation هي الاساس المهم في البناء الطبقي فالناس ينظرون الى بعض الحرف بطريقة اعلى من بقية الحرف الاخرى ، وقد

---

(١) Goldthorpe, J. E., (1974) An Introduction to sociology, Second edition, Cambridge University Press London, p. 133.

(٢) Weber, Max, (1947), The theory of social and economic organization, The Free Press., N. Y. p. 424.

تكون اهم من غيرها بالاضافة الى ان المجتمع في كثير من الاحيان يضفي هيبة الى مهنة معينة دون اخرى ، وذهب الفريق الاخر ينظر الـــى الحيازة possession وما يمتلكه الفرد عامل مهم في فهم وتفسير البنيـــان الطبقي اما القسم الاخر فقد وجد في درجة الشعور الطبقي degree of class consiousness ودرجة الانتماء اساسا مهما في فهم الطبقة[1] .

ان هذا الاختلاف بين وجهات نظر الباحثين في موضوع الطبقة ربما يرجع الى طبيعة المجتمعات التي تناولوها في دراساتهم او الى تباين المـراحل الزمنية التي درسوا فيها هذه الظاهرة اضافة الى تعدد المدارس الفكرية التي ينتمي اليها هؤلاء الباحثون ، واهداف دراساتهم التي وضعوها من حيث توجيهها او دعمها لمدرسة معينة دون اخرى .

ان الظواهر الاجتماعية تتمتع بالنسبية المكانية والزمانية ، والطبقيـــة لاتستثنى من هذا المعيار ،فهي ظاهرة لازمت المجتمعات البشرية في جميع المراحل التطورية لتاريخها ، والمجتمع العراقي كبقية المجتمعات الاخـرى لايخلو من التفاوت الاجتماعي بين الجماعات الاجتماعية التي يضمها اي مجتمع قديما وحديثا . لذا فان الاعتماد على مدرسة دون اخرى او تفسير الطبقة بعامل دون الرجوع الى العوامل الاخرى قد لاينسجم مع الموضوعية العلمية المتوخاة من الباحث أن الطبقة الاجتماعية في المجتمع العراقي تأثرت وتتأثـر في وقتنا الحاضر بعوامل متعددة تكمن في بنية المجتمع ومرتبطة بالبنيـان السياسي والايديولوجيات المختلفة التي توجهها او لها تاثير كبير في عملية التغير ككل .

---

(1) Kahl, Joseph A. Op. Cit., pp. 8-9.

ان دراستنا هذه اتخذت من الطبقة الوسطى موضوعا للبحث والاستقصاء على اعتبارها شريحة مهمة في المجتمع لعبت دورا كبيرا في عمليـــة التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع وقد لايختلف دورها عن بقية الطبقات الاخرى التي لها دور مهم واهم في بعض الاحيان من هذه الطبقة • ولكن اردنا في هذا البحث ان نعرف القاري بالدور المهم الذي لعبته هذه الطبقة في مسيرة المجتمع التاريخية • ان المجتمع العراقي ذو طابع ثقافي يختلف عن بقية المجتمعات الاخرى فالبداوة وتأثيرها على المجتمع ، والثقافة الجديدة وانتشار التعليم وزيادة التحضر ، وزيادة شدة الاتصال الثقافي ، وتنوع وسائل الاتصال وانتشارها في المجتمع كلها لعبت دورا مهما في تطور حياة المجتمع العراقي •

ماهية الطبقة الوسطى :

على الرغم من اختلاف وجهات نظر الكتاب في اعطاء مفهـوم محـدد للطبقة الوسطى middle class الا اننا نجد بعض التعاريف التي تعتبر اكثر قبولا لدى الباحثين • فقد تعني الطبقة الوسطى جماعة من الناس تتشابه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية التي يمكن ان تميزها عن بقية الشرائح الاجتماعية الاخرى وتعتمد بالدرجة الاولى على الحرفة occupation والمكانة status ، وهذه الطبقة تضم الجماعات المهنيةوالادارية والفئاتالاخرىالتي تعتمد على رواتبها في معيشتها •[1] ان المجتمع عندما يضم الطبقة الوسطى من المواطنين فهو عملية طبيعية لنسيج الدولة وقد تحس هذه الطبقة بالطمأنينة في وجود الدولة • والاعتقاد السائد ان وظيفة هذه الطبقة هي باستطاعتهـــا

---

(1) Hutber, Patrick (1976), The Decline and Fall of the Middle Class and how it can fight back, Associated Business programms, London, p. 3.

ان تمنع أي طبقة من الطبقات الاخرى من السيطرة على المجتمع[1]. وعلى هذا الاساس فقد ينظر البعض الى ان هذه الطبقة هي توفيقية وانتهازية لانها تحاول ان توفق بين مصالحها ومصالح الطبقة الحاكمة .

كما وان كارل ماركس يعتقد ان الطبقة الوسطى تحاول ان تلقي ثقلها على الطبقةالعاملة في الوقت الذي تدعم فيه امن الطبقة العليا وقوتها[2] . بهذا فان هذه الطبقة لايمكن ان تعطي الثقة الكاملة لانها لاتريد الا ان تدعم مصالحها وتثبت اركانها داخل المجتمع ولايمكن الاعتماد عليها في كفاحها بجانب الطبقة المحرومة .والاكثر من ذلك ان هذه الفئة من السكان تسعى في الوصول الى مراكز القوى واشغال المواقع العليا لمراكز القوى بعد تقويض الطبقة الحاكمة وتثبيت مصالحها في المجتمع .

ان بحثنا هذا يهدف الى اظهار دور شريحة واحدة من الطبقة الوسطى الا وهي الطبقة المهنية Professional class التي اعتاد بعض الباحثين اطلاق لفظ الطبقة الوسطى عليها . فقد نعني بهذه الفئة الجماعة التي ينضوي تحتها فروع التعليم المختلفة من الحرفيين الذين تميزوا بخصائص معينة[3] جعلتهم يختلفون عن بقية الفئات الاجتماعية الاخرى في المجتمع . فالمتتبع لتاريخ الفكر الاجتماعي يجد ان علماء الاجتماع لم يحاولوا ان يغطوا في دراساتهم كل المهن professions بالرغم من ان البعض منهم حاول ان يدرسها من زاوية معينة قد تختلف عن الاخرين وخاصة الدور الذي لعبته في عملية التحول

---

(١) (Aristotle, Theories of class structure; A classical view) (1974) op. cit., p. 1.

(٢) بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع ، ترجمة د . محمد الجوهري واخرون دار الكتب الجامعية الاسكندرية ١٩٧٣ ، صفحة ٣١٦ .

(٣) Ben-David, Joseph, (1964) Professions in the class system of present day socities, Current sociology, (1963-64), p. 247.

الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.وفي هذا المجال نود ان نشير الى الدراسة التي قام بها ماكس فيبر التي تناولت وظائف وشرعية المهن ، والبحوث التي قام بها ماركيز Marquis وكذلك شابمان Chapman والتي تركزت على الاصل الاجتماعي لمالكي واداري" صناعةالقطن في انكلترا[1] . الى غير ذلك من البحوث الاخرى التي اجريت حول هذه الفئة الاجتماعية .

ولقد اعتقد مارشـال Marshall بان المهن تشكل طبقة متميزة في المجتمع واطلق عليها الطبقة المهنية التي تميزت بطموحات جديدة تختلف عن الفئات الاجتماعية الاخرى من حيث انهـا تفردت في اعتمادها على الكفاءة الاجتماعية Social efficiency واصبح في استطاعتها ان تجد الحلول للمشكلات التي يعـاني منهـا افـراد المجتمع[2] . امـا كـارل مانهـايم Karl Manheim فقد حدد مفهوم هذه الطبقة بالمجموعة التي تشكل جماعة مميزة في البنـاء الطبقي . لها خصائصها التي جعلتها تختلف عن الطبقـات الاخرى .

هذا واشار بعض العلماء بصورة مسهبة في مجالات بحوثهم الى الطبقة المهنية مثل « ميد » G. H. Mead وميرتن Metron واضرابهم من علماء الاجتماع . واول دراسة منهجية اجريت في هذا الميدان هي دراسة كارسندرز Carr-saunders ودراسـة « ولسن » Wilson وكذلك فلكسنر Flexner ،[3] حيث حاولوا في بحوثهم هـذه دراسة المهن في اطار نظري وابراز دورها في حركة المجتمع .

---

(١) Ibid., p. 247.

(٢) Ibid., p. 248.

(٣) Ibid., p. 249.

فالبحوث التي قام بها علماء الاجتماع للمهن كانت بصورة او باخرى قد عالجت هذه الفئة من ناحية ان الافراد او الجماعات الذين يؤدون مهنة معينة يشتركون بخصائص ويدخلون في روابط متميزة اذا ماقورنوا بالفئات الاجتماعية الاخرى • وان المؤشر لوجود هذا الوضع الطبقي هو المشاركة الفعلية بين الافراد من خلال التعبير عن المساواة وبالتعالي • ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا المفهوم ينسجم مع ماجاء به « مارشال » حيث نظر الى الطبقة بانها طريقة الافراد الذين يعاملون بواسطتها اتباعهم وبالمقابل الطريقة التي يعاملونهم بها[1] • فعلى هذا الاساس يجوز لنا استخدام الطبقة المهنية بدلا من استعمالنا لاصطلاح الطبقة الوسطى • وتعتبر هذه الفئة الاجتماعية الشريحة المهمة من الطبقة الوسطى لانها اعتمدت العلم والمعرفة والمهارة والكفاءة اساسا لبناءها• ان تركيزنا على هذه الفئة جاء من اعتقادنا في ان نمو المهن في المجتمع العراقي ادى الى نشوء الطبقة الوسطى التي لعبت دورا مهما في عملية التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي عبر تاريخه القديم والحديث • وامتد هذا النمو الى تغيير النظام الحرفي Occupational system نفسه حيث نشأت مهن جديدة وبنفس الوقت اضمحل دور بعض المهن الاخرى ، اضافة الى بروز تفكير جديد بين الجماعة التي تنضوي تحت مهنة واحدة ويعتقد « بارسنز » Parsons بان المهني هو شخص لا راسمالي ولا عامل ولا هو كليا موظف حكومي او اداري او عضو في الجهاز الاداري وانما[2] هو شخص يتمتع بنوع من الاستقلال الجزئي او الكلي وتعتمد درجة الاستقلال هذه على طبيعة التدريب والتلقين التي حصل عليها من خلال العملية التربوية لهذا السبب يستطيع المهني التعبير عن رايه وممارسة النشاط على اختلاف وجوهه اكثر من غيره في المجتمع •

---

(١) Ibid., p. 250.

(٢) Barber, Bernard, (1957), Social Stratification; A Comparative analysis of structure and process., Harcourt, Brace and world., N. Y. p. 121.

ان تأكيدنا على دور هذه الطبقة في عمليات التغير التي شهدها المجتمع العراقي جاء من اعتقادنا في أن المهنيين لهم عقائد وقيم وتقاليد ومعايير سلوكية ، وتعبيرات عاطفية في بعض الاحيان .[1] لايشترك معهم غيرهم من السكان بنفس الدرجة لان هذه المميزات استندت على اسس تكمن في خاصية هذه الجماعة وتبلورت نتيجة مرورهم بوضعيات وعمليات اجتماعية مختلفة انفردت بها هذه المجموعة او تلك ، ونتيجة لعملية التنشئة هذه خلقت منهم فئة مميزة في المجتمع . كما وان طبيعة التدريب والتعليم لهذه الفصيلة اوجد نمطا معينا من العلاقات الاجتماعية المتماسكة بين افرادها ، كما واعطاها سلطة وقوة لدخول النظام الاجتماعي Social order [2] فالمهن بطبيعتها ترغب من ممارسة سلطة مهنية مستندة على اسس تكنيكية من اجل تأكيد هويتها وايجاد مستوى معين من التدريب لها لخلق الثقة بها واضفاء صفة التفرد والاصالة عليها ، وهذا واضح في بناء موديلات الى التمهن ومحاولة تطبيعها في وجهة نظر العوام والجماعة[3] ، بغية اعطاء تصورات جمعية وانطباعات خاصة لاجل تثبيت مركزها في المجتمع .

ولقد اثبتت البحوث الاجتماعية ان المجتمعات البشرية تتغير وتتطور وان تفاوتت سرعة عملية التحول من حيث تأثرها بعوامل مختلفة ، فقد يسرع جزء في عملية التغير دون الاخر ويترك الاجزاء الاخرى الى جانبه ، الا ان العملية هذه موجودة في طبيعة تكوين المجتمع . وعلى العموم ان البناء

---

(١) Parsons, T., (1968) Profession, I. E. S. S., Free Press, Vol. 2. N. Y. p. 536.

(٢) (Bendix & Lipset, Vertical Mobility) (1974) ed. Bendix & Lipset., Op. Cit., p. 562.

(٣) Ibid., p. 563.

الاجتماعي يتعرض الى الخلخلة حيث تسرع بعض اقسامة في عملية التغير اكثر من غيرها ولو ان المجتمع يحاول توزيع اعضائه في مواقع اجتماعيـة وحثهم على انجاز واجبات لهذه المواقع[1] • لاجل المحافظة على عملية التوازن والانسجام بين اجزائه •

ان نمو وتطور التعليم في العراق وبخاصة الحقول المتخصصة منه ادى الى نمو المهـن وبلورة طبقة جديدة في المجتمع العراقي هذه الطبقة التي ندعوها بالطبقة المهنية او الطبقة الوسطى • وفي الحقيقة ان هذه الطبقة لم تكن مميزة وواضحة في المجتمع العراقي لافي دورها الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي منذ وقوع العراق تحت الاحتلال العثماني • ولقد كان للتعليم دورا مهما في تكوينها والذي بدأت معالمه تظهر في المجتمع منذ اوائل تكوين الدولة العراقية • ان دور الطبقة لايمكن اهماله مهما اختلف تقييم الباحثين له ، لان في اعتقادنا ان لهذه الطبقة نظرة الى المستقبل في المرحلة التاريخية التي تبلورت بها تختلف عن الفئات الاجتماعية الاخـرى وهي تختلف عن الطبقة الوسطى التقليدية التي تعتمد على ثروتها او انحدارها العائلي او غير ذلك من الاعتبارات الاخرى • فهي اعتمدت بالدرجة الاولى على تدريبهـا وتعليمها الذي اصبح اساسا مهما لكفاحها وديمومتها هذه هي الطبقة المتعلمة او المنورة او طبقة اصحاب الرواتب ، وقد لا يقل دور واهمية هذه الفئة عن بقية الطبقات الاخرى في مرحلـة تاريخية ولاجل ان لايهمل هذا الدور اردنا ان نلقي الضوء عليه عبـر حقب زمنية معينة من حياة مجتمعنا المعاصر •

---

(1) (Davis & Moore, Some Principles of stratification) (1974) ed. Bendix & Lipset., Op. Cit., p. 47.

وضع الطبقة الوسطى في العهد العثماني :

قبل نمو الطبقة الوسطى المهنية كان السكان في العراق وخاصة سكان المدن يقسمون الى طبقتين،الطبقة الثرية وهي الحاكمةوالطبقةالعامة الفقيرة وكانت الفجوة بينهما واسعة جدا وذلك بسبب غياب الطبقة الوسطى،[1] او انها كانت صغيرة جدا وليس لها تأثير ملموس على حركة المجتمع وتعتمد بالدرجة الاولى على الملكية الصغيرة . لذا نستطيع القول بان نمو الطبقة الوسطى في العراق بدأ بعدما اهتمت الدولة في تنمية التعليم وتوسيع قاعدته في المجتمع .

فالتعليم خلال الفترة العثمانية ـ على العموم ـ كان خاضعا للنظام الديني وكانت العلوم الدينية هي المسيطرة على مناهج التعليم . وقد اولت الدولة العثمانية اهتماما ملحوظا للمدارس في سنة ١٨٦٠ الا ان مناهجها بقيت مركزة على الدراسات الدينية . وكان وضع هذه المدارس لايقل شأنا عن المدارس التي تأسست في القرن الثالث عشر وفشل الحكم العثماني في توحيد الشعب المتشتت من خلال توصيله للتعليم ،[2] فسيطرة الدين على المؤسسات التربوية لاتثير استغرابا لدينا لان البنية الاجتماعية للمجتمع العثماني كانت تعتمد على الدين الاسلامي لذا نجدهم قد ركزوا على توجيه المناهج بطريقة تخدم الاطار الايديولوجي الديني الذي اهتموا فيه في تلك الفترة .

---

(١) Khadduri, Majid, (1951), Independent Iraq; A study in Iraqi Politics since 1932, Oxford University Press, London, p. 11.

(٢) Lerner, Daniel (1958), The passing of traditional society Modernizing.

وبقي العراق خاليا من وجود اي مؤسسة تربوية حديثة ذات تعليم عال حتى سنة ١٩٠٨ حيث تاسس اول معهدين للدراسة العالية وهما كلية الامام الاعظم الذي تدرس فيه العلوم الدينية والاداب ، ومكتب الحقوق وتدرس فيه العلوم القانونية الحديثة التي ادخلت ايام حكم ناظم باشا. [١] واستمر هذين المعهدين في تزويد احتياجات الدولة من المؤهلين في هذه الحقول الى ان تاسس اول قسم للتعليم ومستقل في العراق في سنة ١٩٢٠ وبعد ذلك ادمج هذا القسم مع وزارة الصحة ومن ثم فصل عنها ،[٢] واصبح مستقلا مرة ثانية . وكان هدف هذا المعهد هو تطوير التعليم بصورة عامة في العراق ، ولكن قد نجد ان هذين المعهدين قد لايتناسبان مع حجم السكان انذاك وسد احتياجات الدولة من المتخصصين والكوادر الفنية الاخرى التي بدأت الدولة تحس باهميتها ، اضافة الى ان هذين المعهدين لم يسدوا طلبات السكان الذي اصبح طموحا في الدخول الى المراكز التعليمية وخاصة العالية منها .

ان البناء السياسي للدولة العثمانية كان ذا طابع ديني واضح ونقلة الافراد الى البناء الفوقي كانت محددة ومستحيلة في معظم الاحيان ، وعلى العموم من الناحية النظرية هناك ثلاثة مؤهلات رئيسية للذين لهم طموحات في المساهمة بالسلطة ، الاول منها هو ان يكون الشخص عضوا في الطبقة الحاكمة ، وثانيهما ان يكون مواليا للسلطان ودولته وان يخصص حياته لخدمتهم ، وثالثهما ان يكون ممارسا للدين الاسلامي ونظامه ، فضلا عن ممارسة الفرد

---

(١) الهلالي ، عبد الرزاق ، (١٩٣٩) ، تاريخ التعليم في العراق خلال العهد العثماني ١٩١٧–١٩٣٨ ، الدار القومية للطباعة والنشر بغداد ، صفحة ٢١٤ – ٢١٥ .

(٢) Iraq, Government of., (1932) Report on the educational inquiry commission survey directed and report, Pual Monroe, Baghdad. p. 83.

للنظام المعقّد والسلوك واللغة بالطريقة العثمانية[1] . فالفرد الذي يطمح في النقلة الاجتماعية وخاصة السياسية وجب عليه ان يكون ملما بتدريب وخبرة في العلوم الدينية والادارية بما فيها المالية والسكرتارية ، والقانون العثماني لم يميز بين المسجد والدولة حيث كانت الشريعة الاسلامية هي الاساس[2] . وعلى هذا الاساس فان تغيير المكانة الاجتماعية في ظل النظام العثماني محددة وذلك لقساوة القوانين التي حددت فيها النقلة الاجتماعية . والبناء الاجتماعي للمجتمع العراقي لا يختلف عن نظيره العثماني لانه جزء منه والدولة واحدة . اما التعليم الذي تميز بالطابع الديني فقد كان بطيئا في نموه لان الدولة العثمانية لم تشجع زيادة عدد المدارس في العراق اضافة الى انها لم تعط تسهيلات للطلبة وخاصة لابناء الطبقة العامة التي تشكل غالبية المجتمع العراقي انذاك . اما البناء الطبقي فقد كان يشمل على الطبقة الحاكمة القليلة العدد والطبقة المحكومه الكثيرة العدد ، ولقد كان الاستغلال للفئة الاخيرة واضحا في استخدامها كاداة للانتاج وتحقيق رغبات الطبقة الحاكمة . لهذا كانت الحكومة العثمانية في العراق غير شعبية فضلا عن انها غير كفوءة[3] في تنظيم وادارة الدولة والمجتمع على حد سواء . فالفساد كان منتشراً ، والجهل والمرض كان متفشيا والفقر والجوع ضارباً في الريف

---

(١) (Show, Steanford Jay, Some aspects of the aims and achievement of the nineteenth century Ottoman reform) (1968), ed. Polk, William R. & Chambers, Richard L., in Beginings of Modernization in the Middle East, University of Chicago Press, Chicago.

(٢) (Parry, Vernon J.,Elite elements in the Ottoman Empire) (1969), ed. Wilkinson, Rupert, in Governing elites studies in training and selection, Oxford University Press, N. Y. p. 54.

(٣) Somervell, D. C., (1945), The British Empire, Sixth edition Christophers, p. 334.

والمدينة والمجتمع العراقي كان ساكناً ومتخلفاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية[1] ولم تترك الدولة العثمانية شيئاً يستحق الذكر في العراق لانها كانت منصرفة الى جمع الضرائب اكثر من اهتمامها بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي • أما هيكل النظام في هذه الفترة فكان اقطاعياً[2] •

والى نهاية هذه الحقبة الزمنية لم تكن هناك طبقة وسطى مهنية لها دور ملحوظ في حركة المجتمع • ويمكن ان يرجع السبب الى التخلف الذي كان سائدا ، وعدم الاهتمام بالتعليم الحديث ، وطغيان الطابع الديني على مناهج التعليم ، وتخلف الطريقة التعليميةالتي كان يلقن بها طلبة المدارس • كما وان الدولة العثمانية نفسها لم تكن راغبة في تعليم السكان خوفا من زيادة الوعي بين صفوف المجتمع او خلق طبقة متعلمة واعية قد تخلق جوا معرقلا الى الطبقة الحاكمة وبالتالي قد تخلق اضطرابا وخلخلة للنظام والدولة العثمانية •

اوضاع الطبقة الوسطى في ظل العهد الملكي

لقد كان العراق قبل الحرب العالمية الاولى جزءا من الدولة العثمانية ونصيبه من التخلف في اوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لايقل شانا عن بقية الدول العربية الاخرى التي كانت تحت ظل هذه الدولة • وفي سنة ١٩١٦ عندما حدثت الثورة العربية ضد الحكم العثماني ساندها الانكليز لانهم كانوا يريدون استغلالها وبنفس الوقت كانوا يهدفون الى تهديم الدولة العثمانية التي كانت تدعى بالرجل المريض • وقد رحب العرب بهذه الخطوة

---

(١) Mansfield, Peter, (1973), The Ottoman Empire and its successors, Hazell Watson and Vincy, Great Britain pp. 17-18.

(٢) Abboushi, W. F. (1974), The Angry Arabs, Philadelephia Westmenister Press, N. Y. p. 100.

اعتقادا منهم ان هذه المساعدة سوف تمكنهم من الاستقلال[١] وتكوين دولتهم المنشودة والتخلص من السيطرة العثمانية . وفي ابريل عام ١٩٢٠ ، وبموجب معاهدت سانت ريمو التي عقدت في ايطاليا اصبح العراق تحت الانتداب البريطاني[٢] . وظل هذا الانتداب تحت وطأة التأزمات النفسية بين العراق والانكليز الى ان اجريت مفاوضات بين الجانبين وحصل العراق على الاستقلال سنة ١٩٣٢[٣] واصبح بعد ذلك عضوا في عصبة الامم League of Nations[٤] الا ان هناك انتفاضات وطنية قد وقعت بعد هذه الفترة من قبل ابناء الشعب وبمساندة بعض روءساء القبائل لان الشعب ادرك ان هذا الاستقلال اسميا وليس فعليا حيث ظل الانكليز محتفظين بقسم كبير من امتيازاتهم ولهم دور في ادارة شوءون البلاد . والطبقة الوسطى المهنية لم تتبلور بعد ولازالت صغيرة لان التعليم بقي بطيء النمو في هذه الفترة .

ولقد نشط التعليم العالي في العراق بعدما ازدادت احتياجات البلاد الى كادر مؤهل لتسيير شوءون الدولة لذا ارادت الحكومة في تلك الفترة ان تدرب جهازا اداريا كفؤ من ابناء الشعب ويحمل ثقافة جديدة وحديثة غير الثقافة التركية ولقد ازداد الطلب على التعليم من ابناء الشعب لانه وسيلة مهمة للنقلة الاجتماعية وتغيير مكانات الافراد . والجدير بالذكر ان الاسرة العراقية تمتاز بالتماسك والتكاتف كما وانها من النوع الكبير لذا فان نقلة اي فرد منها بعد حصوله على التعليم الى موقع طبقي جديد سوف يؤثر على جميع ابناء الاسرة الواحدة . ولقد كان للاحداث التي شهدها العراق

---

(١) Ibid., p. 101.

(٢) Mosley, Leonard, (1973), Power play; the tumultuous world of Middle East Oil 1890-1973, Weidenfeld and Nicholson, London., p. 34.

(٣) Abboushi, W. F. Op. Cit., p. 123.

(٤) Somervell, D. C., Op. Cit., pp. 335-336.

خلال الحرب العالمية الاولى ومابعدها من انتفاضات ونشاطات سياسية واحداث دولية هامة حافزا مهما في زيادة وعي الناس في التعليم

فالتعليم العالي بدأ ينمو ويتطور ، ففي سنة ١٩٢١ تاسست او كلية عصريه للحقوق ، وفي سنة ١٩٢٣ انشأت كلية التربية وبعدها باربع سنوات افتتحت كلية الطب[١] وفي سنة ١٩٣٠ تأسست كلية الصيدلة والكيمياء وي سنة١٩٥٠ كلية الهندسة ، وكلية الملكة عالية (كلية البنات) ، وكلية العلوم والاداب ، والتجارة والاقتصاد[٢] وتبعتها كلية طب الاسنان سنة ١٩٥٢ . وكلية الطب البيطري في سنة ١٩٥٥ وعلى هذا الاساس نجد ان خلال فترة الحكم الملكي قدنمت حقول جديدة من المعرفة والتدريب حيث اصبح الفرد باستطاعته ان يحصل على مؤهل علمي ومهني يؤهله من ممارسة نشاطه داخل المجتمع وان يغير مكانته ووضعه الاجتماعي ويصبح عضوا في طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى المهنية . ان هذه المؤسسات التربوية تختلف في طبيعة علومها ومعارفها عن المؤسسات التعليمية التقليدية التي نمت تحت الحكم العثماني .ان هذه المؤسسات بدأت تجهز المجتمع بجماعات تختلف في تفكيرها ومعارفها عن الطبقة التقليدية التي ورثت الزعامة وتدربت على القيادة في العهد العثماني وثبتت كيانها في العهد الملكي فالبنية السياسية للعهد الملكي وبخاصة في بدايته كانت امتدادا للبنية السياسية للعهد العثماني ، فبعدما كان السلطان هو الذي يختار الافراد ويفرضهم في مراكز القوى اصبح الملك هو الذي يختار الجماعات الذين يراهم ملائمين له ليلعبوا الدور في عملية التحول

---

(١) Qubain, F. I., (1966), Education and Science in the Arab World Baltimore, John Hopkins Press, p. 223.

(٢) Badre, Albert Y. & Siksek, Simon G., Manpower and oil in Arab Countries American University of Beirut, 1959, p. 125.

الاجتماعي والسياسي[1] • وفي احيان أخرى كان الملك نفسه يجتهد ليصبح القوة الاساسية في عملية التحضر أو انه يستطيع ان يستخدم قوته في تأسيس اطار سياسي الى الآخرين المسؤولين عن القرار السياسي[2] • الا أن هذا الأختيار كان يكاد محصور في أُسَر معينة قليلة العدد او في الجماعات التي تحاول التقرب من السلطة او الى العائلة المالكة • وعلى العموم ان الطبقة الوسطى بدأت تنمو وتتطور وتتسع قاعدتها في المجتمع هذه الطبقة كانت لاتريد الدفاع عن مصالحها بقدر ماكانت تريد ان تدافع عن مصالح الطبقات الاخرى التي مادونها في السلم الهرمي للمجتمع • وكانت مدفوعة بعوامل عدة منها انها تنتمي في اصولها الاجتماعية الى الطبقات الفقيرة ، ولهذا فهي تدافع عن مصالح هذه الفئة واتخذتها مادة لكفاحها • هذه الطبقة بدأت تدرك ان طموحاتها لايمكن ان تتحقق في ظل بناء سياسي يعتمد في اختيار رجاله على اسر محددة ووفق اسس لا تنسجم مع تطلعاتها •

الصراع بين الطبقة الوسطى والسلطة الحاكمة

لقد اكدنا على ان التعليم العالي بدأ ينمو ويتطور في العراق وكنتيجة لذلك بدأت تنمو الطبقة البيروقراطية التي يرتكز عليها البناء السياسي للمجتمع • ان هذه الطبقة اصبحت لاتقل اهمية عن الحكومة نفسها حيث اصبح منها المدراء والاداريون ، والمهندسون والصحفيون ، والمدرسون والأطباء والمحامون وآخرون متخصصون بفروع المعرفة الاخرى[3] • وقد

---

(١) Halpern, Manfred; (1963), The politics of social change in the Middle East and North Africa, Princeton University Press, New Jersey, p. 41.

(٢) Ibid., p. 43.

(٣) Ibid., p. 52.

تختلف الجذور الاجتماعية لافراد هذه الطبقة ولكن في الاعم الاغلب يمكن ان نقرر ان اصولها ترجع الى الطبقة الدنيا وذلك لغياب الطبقة الوسطى او صغر حجمها ـ على وجه الدقة ـ في المجتمع العراقي • كما وان الطبقة العليا التقليدية كانت هي الاخرى صغيرة في حجمها لاتستطيع تجهيز البناء الاداري وفي بعض الاحيان السياسي للبلاد• وان تسد الفراغ الذي يحدث في هذا البناء نتيجة لتوسع اجهزة الدولة •

ولهذه الطبقة (المهنية) الجديدة دور مهم في توجيه كفاح وطموحات الفئة المتعلمة من المجتمع • فهي تنظر الى الطبقة العليا الحاكمة على انها جماعة صغيرة لاتزيد على عشرين او ثلاثين اسرة من الذين يحكمون البلد فعليا ومرتبطين مع بعضهم البعض الاخر بروابط قربى او مصاهرة او صداقة قوية لغرض المشاركة في المنافع • ولقد كان لصغر هذه الفئة ميل قوي للتوحيد والتساند لتنفيذ اغراضهم في تقاسم مراكز القوى[1] • وبالمقابل بدأت الطبقة المهنية تميل الى التوحيد والتعاون وهذا واضح في مطالبتهم بانشاء الجمعيات المهنية والنوادي الخاصة بهم ومطالبتهم من خلال هذه التنظيمات بحقوق مهنية بغية تأكيد حقهم في المجتمع والاعتراف بثقلهم الاجتماعي الذي بدأوا يشكلونه بعد زيادة الاعداد المتخرجة من الجامعات •

ان الطبقة الحاكمة بدأت تدرك خطورة الطبقة الجديدة المتنامية والمتصاعدة الا انها لم تستطع دائما من كبح جماح مطاليبها لانها اصبحت ذات قاعدة واسعة في المجتمع ولها وزن اجتماعي وسياسي • والواقع ان هناك صراعا قائما بين هذه الطبقة والطبقة الحاكمة ذلك ان كل منهما له ثقافته وتعليمه وتدريبه • ان هذا الصراع يمثل جماعتين الاولى تلقت علومها وتدريبها تحت

---

(١) Harris, George L., (1958), Iraq its people its society its culture;. Hraf Press, p. 306.

ظل العهد العثماني في (استانبول) وبين جماعة تلقت ثقافة مختلفة [1] تعتمد على العلوم الحديثة ومتأثرة بالتيارات الفكرية العربية والعالمية ولقد كان هذا الصراع يمثل جيلين الاول محافظ يميل الى ادامة واستمرارية الوضع القائم والنظر الى عملية التغير نظرة تخريبية لبنية المجتمع ، وبين جيل هدفه عملية التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لانه يعتقد بان النظام القائم لايتناسب مع طموحاته • فهو صراع بين فئة تريد المحافظة على مراكزها التي ورثتها من العهد العثماني واقرها العهد الملكي وبين جماعة جديدة تريد ان تثبت كيانها ومركزها داخل السلطة والمجتمع •

ان الطبقة الوسطى المهنية بدأت تنظر الى الطبقة العليا الحاكمة كجماعة لاتستطيع ان تقود عملية التحول والتغير وليس باستطاعتها بناء دولة عصرية وذلك بحكم المناخ الاجتماعي والسياسي الذي خلقت فيه ، لذا فان الطبقة الوسطى بدأت تطالب هذه الطبقة بالتخلي عن مسؤوليتها التي هي ليست اهل لها • ان النخبة الحاكمة في العراق فشلت في بلورة النقلة الجديدة التي شهدها المجتمع للطبقة الوسطى فهي لم تستطع من أن تؤلف بين طموحات الجيل الجديد وبين طموحاتهم ، هذا ما شجع الطبقة المهنية على البحث عن قنوات جديدة ووفق تصميماتهم لانها كانت تريد ربط المستقبل مع التحول الحضاري الذي لايمكن اهماله •[2]

ولقد اخذ دور الطبقة الوسطى المهنية يتعاظم واصبحت تشكل قوة لايستهان بها في المجتمع وخاصة بعدما اصبحت جزءا مهما من بناء الدولة

---

(١) Seto-Williams, M. V. (1948), Britain and the Arab States; A survey of Anglo-Arab relations 1920-1948. London, p. 36.

(٢) Lerner, Daniel; (1958), Op. Cit., p. 410.

وجهازها الاداري ، والاداة المهمة في تمشية شؤون البلاد • وعلى الرغم من ان النخبة الحاكمة كانت متأثرة بافكار الغرب التي اعتبرتها وسائل مهمة لتنشيط القطر وخاصة النظام القانوني الذي يعتمد عليه النظام السياسي الا ان التوجيه هذا كان غير منفصلا عن تيار القومية العربية[١] الذي تأثرت به كثيرا هذه الطبقة والذي اصبح فيما بعد يشكل محور كفاحها ونشاطها في المجتمع •

ان هذه الطبقة كانت تطمح في تغيير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي بصورة جذرية لانها كانت تعتقد بعدم صلاحية البنيان القائم فمن الناحية السياسية ان مراكز القوى كانت مسيطر عليها من قبل فئة قليلة ، ومن الناحية الاقتصادية كان هناك تفاوت طبقي كبير بين هذه الطبقة والطبقة الغنية ، واجتماعيا كانت الالقاب والانحدار العائلي والرباط القرابي له دور كبير في الحصول على المناصب والمراكز في البنيان الاداري للدولة بالاضافة الى ان العهد الملكي اعطى نصيبا اوفر الى الشيوخ والاقطاعيين ودعم قوتهم في السلطة اكثر مما اعطته لهم الدولة العثمانية •[٢]

ولقد حاول العهد الملكي من ان يحفظ ديمومته بامتصاص بعض افراد هذه الطبقة • فحاول ان يقيم احزابا سياسية موجهة من قبله وان يشجع الشباب والمثقفين في الدخول اليها ، وبنفس الوقت منعت الاحزاب التي لم تكن موالية اليه من مزاولة النشاط السياسي[٣] • الا ان هذه الاحزاب

---

(١) Harris, George L.; (1958), Op. Cit., p. 306.

(٢) Warriner, Doreen, Land and poverty in the Middle East, Royal Institute of International Affairs, London, 1948. p. 23.

(٣) (Molansky, Olesm S. Qasim and the Iraqi communist party; A study in Arab politics (1972), in man, State, and Society in the contemporary Middle East, ed. London, Jacob M., Praeger publishers, N. Y. p. 152.

لم تلق ترحيبا قويا من الطبقة المهنية لان هذه الطبقة شعرت بان ليس بامكانها ان تساهم في السلطة وعملية التغيير داخل المجتمع الا بتغيير الهيكل السياسي فمن الواضح ان النخبة الحاكمة التي تقلدت مراكز القوى من سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ قد تغيرت ٥٨ وزارة وكانت هذه التغيرات تضم رجال الدين والاقطاعيين والشيوخ وكبار ملاكي الاراضي .[١] ولم تفسح الطبقة الحاكمة المجال للطبقة الوسطى المهنية لتساهم في البناء السياسي الا بعض المهنيين ممن تربطهم علاقة وثيقة بهـــم .

كما ان لبرامج التنمية التي بدأت تنشط في هذه الفترة اثر فعال في عملية التغير الاجتماعي وهذا واضح في خلق فرص جديدة للطبقة الوسطى والتي لم يكن لها موقع فعلي من قبل فقد اصبح منهم المدراء ومالكي الالـة كما ونمت علاقات جديدة امتدت الى الريف . فالطبقة الوسطى الحضرية كانت صغيرة وان خلال عملية التصنيع وحيث الفرص الاقتصادية الجديدة سهل على هذه الطبقة من الحصول على مكانات اجتماعية وبالتالي زيادة نقلة الافراد الرأسية والعمودية كمـا وان معظم المثقفين من الشباب كانـوا مركزين على المستقبل ومنشغلين في حل مشاكل المجتمع ومعظمهم متعلق بتأسيس وتشييد نوع جديد من المجتمـع يساعدهم في الوصول الى معيشة افضـل وملائمـة للقـرن العشرين[٢] .

وكنتيجة للضغوط التي بدأت تعانيها الطبقة الوسطى المهنية بدأت تضاعف نشاطها السياسي وبخاصة في اواسط واواخر العهد الملكي في المدن الرئيسية ومنها بغداد التي كانت محلا ملائما وخصبا لنمو الافكار والاحزاب السياسية

---

(١) Ellis, Howard S. (1970), Private enterprise and socialism in the Middle East, American Enterprise Institute for public policy, Washington, p. 27.

(٢) Qubain, Fahim I. (1958), The Reconstruction of Iraq 1950-1957. Atlantic Books, Stevens & Son, London pp. 259-260.

وبالرغم من ان وسائل الاتصال الرئيسية كالصحف والمجلات والاذاعة كانت موجهة من قبل الحكومة [1] • الا ان هـذه الطبقة ساهمت مساهمة كبيرة في بناء الاحزاب السرية التي نشطت في تنبيه الناس على فساد الوضع القائم وتأكيد الدعوة الى تغيير هيكل المجتمع • والجدير بالذكر أن النشاط السياسي لهذه الطبقة يرجع امتـداده الى المؤسسات التربوية التي تعلموا ودرسـوا فيها حيث كانت الجامعات والمدارس مسرحا نشيطا للحركات السياسيةوتبادل الآراء حول الوضع القائم واصبح شبه اجماع عندها لتغيير النظام •

تبلور الطبقة الوسطى كاداة للثورة :

لقد بدأت الطبقة الوسطى المهنية تزداد وعيا في بلورة اهدافها والتعبير عنها سواء من خلال مساهمتها بالاحزاب السياسية السرية او من خـلال تنظيماتها المهنية والنقابية في توجيه النقد الى الهيكل العام للمجتمع وتركيبه والتركيز على عيوبه وفساده • ان هذه الفئة بدأت تتدخل في عملية التحضر والتبدل وتدعى ان لها دورا اضافيا في المجتمع • فلقد نشأت وترعرت علـى التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تحدث في المجتمع العربي، ولم تعتمد في كفاحها هذا على التجانس الاجتماعي والاقتصادي بل انها كانت علمانية لها قوتها وبدأت تتوجه نحو مراكز القوى في المجتمع[2] • ولقد كانللتعليم الذيحصلت عليه عاملا مهما في ترسيخ هذا الاعتقاد لديها •

ان هذه الفئة من المجتمع لاتشبه في تركيبها الطبقة الحاكمة التقليدية من اصحاب الاقطاعيات كما لاتشبه البرجوازيين التجاريين بل انها كانت اول طبقة تنشغل في عملية تحول المجتمع وهي مملوءة بالقوة وشاعرة بنفسها ان

---

(1) Atiyyah, H. (1973), The Iraqi Development Board 1950-58, unpublish M. A. thesis, American University of Beirut, Beurut p. 4.

(٢) Halpern, Manfred, (1963) Op. Cit., p. 58.

لها واجب رئيسي هو اعادة بناءالمجتمع[1] على اسس تحفظ بها عدالة المجتمع وتضمن حقوق جميع الفئات الاجتماعية • ان الطبقة الوسطى المهنية لاتشبه الطبقة الوسطى التقليدية التي تداخلت مصالحها مع الاقطاع والتي كانت تملك الاراضي وتمارس الربا في الريف والمدينة وتلعب دورا استغلالياً وطفيليا في المجتمع[2] • كمـا وان الطبقة المهنية لا تشبه الطبقةالبرجوازية التقليدية التي لعبت دورا كبيرا في التجارة الداخلية والخارجية في العهد الملكي والتي تميزت بالنزعة الاستهلاكية[3] • اكثر من النزعة نحو الانتاج • وانمـا كانت تريد ان تساهم في عملية تطوير الاقتصاد بمساهمتها في تعليمها وتدريبها في في العملية الانتاجية •

الطبقة الوسطى وثورة تموز ١٩٥٨ :

لقد سعت الطبقة الحاكمة الى فرض قوتها على الطبقة الوسطى المهنية وذلك بكبح جماح افرادها وعرقلة مساعيهم بالمساهمة في السلطة واعطائهم نصيبا يتناسب مع حجم هذه المجموعة وكنتيجة لذلك بدأت هذه الفئة تزداد قوة في اواخر العهد الملكي وخاصة بعدما كسبت الى جانبها تأييدا من الطبقة الكادحة والتي تشكل الطبقة الاكثر عددا في المجتمع والتي هي الاخرى بـدأ يتعاظم نموها وخطرها على الكيان القائم وخاصة بعد حركة التصنيع التي شهدها القطر في العقد الاخير من العهد الملكي وبعد تأسيس مجلس الاعمـار ولقد كان للفساد القائم عامل محفز لهذه الفئات وتجميع قواها مع بعضهـا البعض لتحقيق الثورة وتغيير البنيان القائم •

---

(١) Ibid., p. 58.

(٢) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ـ اقطر العراقي ، كانون الثاني ١٩٧٤ صفحة ١٠٤

(٣) المرجع السابق صفحة ١٠٥ .

فبعد عملية التغيير التكنولوجي التي بدأت واضحة المعالم في المدن ونمو الطبقة الوسطى المهنية والعاملة ، ارادت النخبة الحاكمة ruling elite ان تختبر قوتها في السيطرة على هذه المهارات الجديدة وذلك بتشغيلهم لاغراضهم الاجتماعية والسياسية ، الا ان رغبات العمال بدأت تنمو باتجاه مغاير عما تريده النخبة الحاكمة التقليدية[1] . فبدأت نزعة العمال نحو التنظيم المهني والنقابي تقوى وتشتد مطالبة في تنظيم انفسهم وتشكيل منظمات تدافع عن حقوقهم التي بدأوا يتحسسون بها . ولم تكتف الطبقة الوسطى المهنية من تأجيج روح التغيير بين اوساط الطبقة العاملة والفلاحية بل تخطت وبدأت تبحث عن فئة اخرى تملك القوة الا وهو الجيش .

ومما لاشك فيه ان الدولة العراقية عندما اسست وبنيت الجيش كانت في تلك الفترة تطمح في تنظيمه لغرض الحفاظ على الاستقرار والنظام الداخلي للبلاد وخاصة خلال فترة الانتداب . وبذل العهد الملكي جهوداً مضنيه في كسب الجيش وابعاده عن التأثيرات الجديدة ولكن لم يستطع من ايقاف انتشار دعوة القومية العربية التي بدأت تؤثر فيه وتحفزه على الثورة والتغيير وبدأت طموحاتهم تتبلور في تغيير الحكم لاجل تحقيق العدالة الفعلية لابناء الشعب ووجدوا ان واجبهم ليس هو اخماد الحركات الداخلية وحركات القبائل[2] وانما هناك وظيفة اهم تتعلق في المجتمع والقضاء على هياكل الفساد الذي اصبح منتشرا في البلاد والمطالبة في فسح المجال لكل الشرائح الاجتماعية الى مساهمتها في مراكز القوى في البلاد .

---

(1) Harris, George L., Op. Cit., p. 5.

(2) Khadduri, Majid., (1951) Op. Cit., pp. 78-79.

والجدير بالذكر ان العسكريين الذين بدأوا يمارسون النشاط السياسي في العراق كانوا يعبرون عن طموحات الجيل الجديد • وكان القسم الاعظم منهم ــ عدا كبار الضباط الذين نالوا تدريبهم تحت العهد العثماني ــ متأثرين بالدعوة القومية قبل دخولهم الى السلك العسكري ، وان معظم العسكريين الذين كثفوا نشاطهم من صغار الضباط[1] الذين انسجمت طموحاتهم مع اهداف الطبقة الوسطى المهنية والطبقة العمالية • ان هذه النخبة الجديدة الثورية من الضباط وجدت ان معظم القياديين في الفترة ما بعد الاستقلال ١٩٢١ كانت تربط بينهم روابط عائلية [2] وقرابية وصداقة وتقاسموا مراكز القوى والوظائف العليا في البلاد وتمتعوا بالحقوق والامتيازات وبنفس الوقت لم يفسحوا المجال امام الفئات الاجتماعية الاخرى لتحتل مكانها في السلطة والدولة •

ان العناصر القومية من الجيش والتي معظمها من الشباب الذي ينتمي الى الجيل الجديد والمتأثر بالتيار القومي الوطني حاولوا تنظيم انفسهم في جماعات صغيرة وبدأوا يناقشون طموحاتهم في تحسين وضع البلاد والطرق التي يستطيعون تحقيق هذه الطموحات[3] • وذلك لان الوضع القائم لايتحمل نظرا لتفشي الفساد في معظم اجهزة الدولة وعلى هذا الاساس نجد ان الطبقة الوسطى المهنية مؤيدة من قبل الطبقات العمالية والفلاحية والتي نظمت نفسها

---

(١) Khadduri, Majid., (1969) Republican Iraq; A study in Iraqi politics since the revolution of 1958, Oxford University Press, London, p. 16.

(٢) Johnson, Maxwell Drme, (1974), Iraqi political and military Leadership, A case study of its Formative years in the Great Arab Revolt, American University of Beirut, p. 6.

(٣) Khadduri, Majid, (1951) Op. Cit., p. 80.

وانضوت تحت الحركات السياسية السرية قد تلاقت في اهدافها وهو تغيير النظام • وعلى الرغم من وقوع اضرابات واستنكارات من قبل هذه الفئات الاجتماعية سواء بصورة علنية متمثلة في المظاهرات او الاحتجاجات في الصحف والمجلات السرية منها والعلنية لم تستطع الاستغناء عن قوة الجيش التي تعتبر العنصر المنفذ للثورة • لذا نجد ان جميع هذه القوى تكاتفت مع بعضها وصنعت ثورة تموز ١٩٥٨ التي قوضت جميع ركائز النظام الملكي وقضت على الاقطاع والاسرة المالكة والمتنفذين من رجالاته •وبدأت تقوم بعملية الاصلاح• ولقد تعثرت حركة التغيير والتبديل في البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بعد سنة ١٩٥٨ لذا حدثت اضطرابات واحتجاجات منها العنيفة المتمثلة في الانقلابات والثورات كثورة شباط ١٩٦٣ وامتدت هذه الفترة الى سنة ١٩٦٨ حيث استلم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة وبدأ يطبق منهاجه الثوري الذي يمثل طموحات كل هذه الشرائح الاجتماعية التي تحدثنا عنها والى وقتنا الحاضر •

SOURCES

(1) Atiyyah, Hamid, (1973), The Iraqi Development Board 1950-58, unpublish M. A. thesis, American University of Beirut, Beirut.

(2) Abboushi, W.F., (1974), The Angry Arabs, Philadelphia Westminister Press, N. Y.

(3) Badre, Albert Y. & Siksek, Simon G., (1959) Manpower and Oil in Arab Countries, American University of Beirut, Beirut.

(4) Ben-David, Joseph, (1964), Professions in the class system of present day societies, current sociology, Vol. XII, 1963-64.

(5) Barber, Bernard, (1957) Social Stratification : A comparative Analysis of Structure and Process, Harcourt, Bracex World, N. Y.

(6) Bendix, Renhard & Lipset, Seymour Martin, (1974), Class Status and Power; Second Edition, Routledge, Kegan Paul, London.

(7) Cuber, John F., (1951). Sociology; a Synopsis of principles, second edition, Appleton-century-corfts, N. Y.

(8) Coser, Lewis A., & Rosenberg, Bernard (1974) Biological theory, A book of Readings, second edition, The MacMillan Company, N. Y.

(9) Ellis, Howard S., (1970) Private Enterprise and socialism in the Middle East, American Enterprise Institute For Public Policy Research, Washington.

(10) Goldthorpe, J. E., (1974), An Introduction to sociology second edition, Cambridge University Press, Cambridge.

(11) Gould, Julins & Kolb, William L., (1964) A Dictionary of the Social Sciences, The Free Press, London.

(12) Harris, George L., (1958) Iraq its people its society its culture; Hraf Press.

(13) Hutber, Patrick, (1976) The decline and fall of the Middle Class, and how it can fight back, Associated Business Programmes, London.

(14) Halpern, Manfred; (1963), The politics of social change in the Middle East and North Africa, Princeton University Press, New Jersey.

(15) Iraq, Government of (1932) Report on the educational inquiry commission survey directed and report, by Paul Monroe, Baghdad, Government Press.

(16) Johnson, Maxwell Orme; (1974) Iraqi political and military leadership, a case study of its formative years in the Great Arab Revolt; American University of Beirut, Beirut.

(17) Lerner, Daniel, (1964) the passing of traditional society; Modernizing the Middle East, the Free Press, N. Y.

(18) Mosley, Leonard, (1973), Power play; the tumultuous world of Middle East Oil 1890-1973. Weidenfeld and Nicholson, London.

(19) Mansfield, Peter, (1973) The Ottoman Empire and its successors Hazell Watson and Viney, Great Britain.

(20) Max, Weber, (1947), The theory of social and economic organization, The Free Press, N. Y.

(21) Parsons, Talcott, (1968), Professions, International Encyclopaedia of the social sciences, Free Press, Vol. 12, N. Y.

(22) Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Aven (1959), E.S.S., The MacMillan Company, N. Y.

(23) (Show, Stanford Jay, Some aspects of the aims and achievement of the nineteenth-century Ottoman Reform) in Beginings of modernization in the Middle East, Ed. Polk, William R. & Chambers, Richard L., University of Chicago Press, Chicago, 1968.

(24) Seton-Williams, M. V. Britain and the Arab States; A Survey of Anglo-Arab Relations, 1920-1948, London, 1948.

(25) (Smolansky, Oles M., Qasim and the Iraqi Communist Party, A study in Arab Politics), 1972, in Man, state, and Society, Ed., The Contemporary Middle East, Ed., London, Jacob M., Praeger Publishers, N. Y.

(26) Somervell, D. C., (1945) The British Empire, sixth edition, Christophers, London.

(27) Khadduri, Majid, Republican Iraq (1969) A study in Iraqi politics since the revolution of 1958, Oxford University Press, London.

(28) Khadduri, Majid, (1951), Independent Iraq; A study in Iraqi politics since 1932, Oxford University Press, London.

(29) Kahl, Joseph A., (1967), The American Class Structures, Holt, Renehart and Winston, N. Y.

(30) Kubain, Fahim I., (1966), Education and Science in the Arab Wirld, Johns Hopkins Press, Baltimore.

(31) Warriner, Doreen, (1948) Land and Poverty in the Middle East, Royal Institute of International Affairs, London.

(32) Wilensky, Harold L., (1964) The professionalization of everyone ? American Journal of Sociology, Vol. IXX, No. 2. September.

المراجع العربية : ـ

١ ـ الهلالي ، عبدالرزاق ، (١٩٣٩) تاريخ التعليم في العـراق خلال العهـد العثماني ١٩١٧ـ١٩٣٨ ، الدار القومية للطباعة والنشر بغداد .

٢ ـ بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع (١٩٧٣) ، بغداد ، تعريب ، د . محمد الجوهري واخرون ، دار الكتب الجامعية ـ الاسكندرية .

٣ ـ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن ، كانون الثاني ١٩٧٤ .